الأدب مع أمهات المؤمنين

رضي الله عنهن

إعداد ومراجعة

قسم التحقيق بالدار

إشراف

عبد الله علوان

دار الصحابة للتراث

ت ٣٢١٥٨٧ ص.ب ٤٧٧

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

المراسلات:
طنطا ش المديرية أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[الأحزاب : ٣٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي المسلم ..

هذه رسالة لطيفة ، من سلسلة الآداب التى تصدرها **دار الصحابة للتراث** ، وقد سبقتها إلى الظهور ، أختان لها ، هما ، الأدب مع الله ، والأدب مع رسول الله ﷺ ، وهذه التى بين يديك ، موضوعها .

الأدب مع أمهات المؤمنين رضى الله عنهن ،

وهذه السلسلة – سلسلة الأدب – تهدف فى المقام الأول إلى تبيين ما ينبغى للمسلم أن يسلكه ويتحلى به من أخلاق سامية وآداب رفيعة ، فى تعامله مع خالقه جل وعلا ، ثم مع رسوله ﷺ ثم ... إلى آخر السلسلة ، وهى لا تدعى أنها جاءت بما لم يأت به الأوائل ، فكل مادتها مأخوذ من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الصحيحة ، والآثار الثابتة عن الصحابة والتابعين والسلف الصالح ، رضى الله عنهم أجمعين

فهدفها – إذن – تربوى إرشادى ، وكفى به من هدف ، وأكرم به من غاية ، والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت
وما توفيقى إلا بالله عليه
توكلت . وإليه
أنيب .

﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ .. لماذا ؟

أمهات المؤمنين رضى الله عنهن – هن زوجات الرسول الكريم ﷺ ، وهن – رضى الله عنهن – لم يفرضن هذه الأمومة على المؤمنين بسبب قربهن من رسول الله ﷺ وما تطلعن فى يوم من الأيام إلى الحصول على امتيازات بسبب ارتباطهن بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ بصلة الزواج ، كلَّا .. ما حدث شيء من ذلك ، وما كان له أن يحدث ، ولكن الله عز وجل مَنَّ عليهنَّ بهذا الفضل ، وفرض هذه الأمومة وقررها على جميع المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] فهذه الآية تقرر شيئين ، **أولهما** : أن الرسول ﷺ ، أولى بالمسلمين من أنفسهم ، ولا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه ، **وثانيهما** : أن زوجاته رضى الله عنهن – هن أمهات للمؤمنين .

إن هذه الأمومة التى يقررها القرآن ، لزوجات النبى ﷺ ويعممها على جميع المؤمنين ، تفرض على من شرفوا بهذه الأمومة ، واجبات ، ومن ثم ينبغى أن يُرى تأثيرها واضحاً فى حياة الأبناء ، وبمعنى آخر – إن لهذه الأمومة حقوقاً يجب أن تراعى ، والتزمات يجب أن تؤدى .

ولكن قبل أن نخوض فى بيان هذه الحقوق ، وتوضيح تلكم الالتزامات فإنا نحب أن نقول : بأن هذا الفضل ، وذلك التكريم لهن - رضى الله عنهن - لم يكن ليستقر تاجاً فوق رءوسهن إلا بعد أن نجحن فيما اختبرن به من أوامر ، ونواهٍ من الله - سبحانه وتعالى - لهن ، وإليك بعضاً من هذه الاختبارات ليتبين لك بوضوح وجلاء ، أنهن - رضى الله عنهن - كن جديرات بهذا التكريم ، وأهلًا لهذا الفضل :

فأولى هذه الاختبارات ، ما جاء فى قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾

[الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩] إنه الاختيار الصعب لقد شكين إليه خشونة العيش ، وقلة حظهن من متاع الدنيا ، فماذا حدث ؟ اعتزلهن الرسول ﷺ شهراً كاملًا ، حتى تهامس من المسلمين أناس بأنه ﷺ طلق أزواجه ، ثم جاء الاختيار الصعب من الله عز وجل بين العيش مع الرسول ﷺ على هذه الحال ، وبين تطليقهن وتسريحهن ، فما كان منهن رضى الله عنهن إلا أن

ثم جاء الاختبار الثانى ، وليس بأقل مما سبق ، إنه إذا ارتكبت إحداهن إثماً أو ذنباً ، فإن عقابها مضاعف ، وإن آمَنَّ واتقين الله ورسوله ، وخشعن لله تعالى ، وخضعن لرسوله ﷺ ، فإن الله يؤتيهن أجرهن مضاعفاً، قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[الأحزاب : ٣٠ ، ٣١]

فما كان منهن – رضى الله عنهن – إلا التسليم والإقرار بذلك .

ويأتى الاختبار الثالث : وفيه يبين الله لهن ، أنهن لسن كغيرهن من النساء ، ومن ثَمَّ فإن علاقتهن بالناس يجب أن يسودها الطهر والعفة ، وأن تكون أبعد شيء عما يثير فتنة أو يحرك شهوة ، وإن تكلمن مع أحد ، فليكن كلامهن واضحاً معروفاً ، وليقصدن المعنى قصداً ، حتى لا يطمع فيهن من فى قلبه مرض أو ضعاف الإيمان ، قال تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب : ٣٢] وزيادة فى الطهر ومبالغة فى العفة والتقوى ، فإن هناك أموراً أخرى يجب أن يلتزمن بها ، قال تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأحزاب : ٣٣] لقد أمرهن الله تعالى بالقرار فى البيوت ، وعدم الخروج إلا لضرورة ، فإذا خرجن وفق هذه الضرورة فينبغى عليهن أن لا يتبرجن ، بل يلتزمن بما أمر الله به النساء: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] وكما فى سورة الأحزاب ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٩] وتمضى بعد ذلك – آيات الله – تأمرهن بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله ﷺ .

إنها تبعات ثقال ، ومسئوليات عظام ، يفرضها عليهن وجودهن فى ذلك البيت الطاهر ، بيت النبوة ، وليكُنَّ أيضا – على مستوى ذلك المقام الرفيع الذى تفضل الله به على رسوله ﷺ ، والذى سيأوين إليه ، ويعشن فيه .

وأخيراً .. يبين الله سبحانه وتعالى الهدف من وراء هذه القيود التى فرضها على زوجات النبى ﷺ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] أجل.. إنها العفة المطلقة، والطهر الكامل ، والنقاء الذى لا نقاء بعده ، وإنها للخصال الحميدة التى لا تليق إلا بهذا البيت الكريم المبارك ، بيت النبوة ، قبله المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ينهلون منه الطهر والعفة ، ويتعلمون منه دين الله الذى نزل على نبيه ﷺ .

ثم أخيراً بعد أن بين الله مالهن وماعليهن فى هذا البيت الطاهر ، يأمرهن بأن يذكرن ما ينزل من الوحى فى بيوتهن ، قال تعالى : ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾

[الأحزاب : ٣٤]

أخي المسلم : كانت هذه بعض الآداب التى فرضها الله على أمهات المؤمنين رضى الله عنهن – وقد التزمن بها ، ورعينها حق رعايتها ، فكان التكريم من الله – سبحانه – بأن طهرهن ، وجعلهن أمهات المؤمنين .

ولكن ... مما يحز فى النفس ، ويملأها حزنا ، ويعصر فى القلب أسىً ومرارة ، أن بعض المسلمين فى هذا الزمان – وما أكثرهم – لا يعرفون من هن أولاء اللاتى فزن بهذا الشرف العظيم ، وأصبحن أمهات للمؤمنين ؟ !

ألست معى بأنه شيء مؤسف ؟ ولا ينبغى للمسلم أن يجهله ؟ ! من أجل هذا رأيت أن أعرف بأمى وأمك ، وأم كل مسلم ، حتى نتأدب بأدبهن ، ونتأدب معهن ، فنؤدى بعض ما لهن علينا من حقوق – وما أكثرها – وقد اقتصرت فى التعريف بهن على ذكر أسمائهن وطرفاً يسيراً عنهن ، أما من أراد الوقوف على ترجمات وافية عنهن فعلية بكتب التراجم ، لأن هذه الرسالة ليس من أهدافها الترجمة لأمهات المؤمنين ، بل كيف نتأدب معهن ؟ وكفى به من هدف ، وأعظم به من غاية .

التعريف بهن رضى الله عنهن :

فأما أولاهن فهى **خديجة بنت خويلد رضى الله عنها** أولى زوجاته ﷺ وأول من أسلم وآمن به ، ومن ثم فهى أول أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وقد وقفت بجانب الرسول ﷺ منذ بداية الوحى إليه ، تشد من أزره لمواصلة الدعوة ، وتخفف عنه بعض ما يلاقيه من أذىً من كفار مكة ، ولقد كان لها فى قلب رسول الله ﷺ مكانة خاصة لا تدانيها مكانة أىٍّ مِنْ نسائه رضى الله عنهن ، فها هو الرسول ﷺ يتحدث عنها فيقول : « **والله ما أبدلنى خيراً منها : آمنت بى حين كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الولد دون غيرها من النساء** »

أىُّ مكانة هذه التى تربعت عليها خديجة أم المؤمنين ! وأى فضل ذلك الذى يشهد به لها الصادق المصدوق ﷺ .! !

ما أسماها من مكانة !

وما أعظمه من فضل !

* وأما الثانية فهى **سودة بنت زمعة** كانت من المسلمات الأوائل ، وهاجرت إلى الحبشة ، وتوفى زوجها هناك ،

وعادت إلى مكة ، (وتأثر ﷺ للمهاجرة المؤمنة المترملة أيما تأثر ، فما كادت « خولة بنت الحكيم » تذكرها له ، حتى مد يده الرحيمة إليها يسند شيخوختها ، ويهون عليها الذى ذاقت من قسوة الحياة)[١]

ومن أقوالها المأثورة : « ووالله ما بى على الأزواج من حرص ، ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجاً لك »

* وأما الثالثة فهى حبيبة سيد البشر ، الصديقة بنت الصديق، **عائشة بنت أبى بكر**، وقد تزوجها الرسول ﷺ لتوثيق صلته بأحب الناس إليه ، أبى بكر الصديق ، وليرفع عنه رضى الله عنه – الحرج من الدخول عليه فى بيته ﷺ متى شاء وكيفما أراد ، وقد روت عن الرسول ﷺ أحاديثاً كثيرة بلغت ٢٢١٠ أحاديث[٢] ، وإنها لتعد الفقيهة الأولى فى الإسلام ، فما أكثر ما سمعت من رسول الله ﷺ ، وما أكثر ما روت عنه ، وما أكثر ما أفتت فيما عرض عليها من فتاوى .

وأما الرابعة فهى ابنة الفاروق عمر – رضى الله عنه – وكفى أبوها شرفاً وفخراً بأن تحقق فيه دعاء الرسول ﷺ بأن

---

(١) انظر : تراجم سيدات بيت النبوة – د. عائشة عبد الرحمن ص ٢٤٥ .
(٢) الأعلام للزركلى : ص ٢٤٠

يعز الله الإسلام على يديه ، وقد تحقق ، إنها **حفصة بنت عمر ابن الخطاب** لها أسبقية إلى الإسلام ، فقد دخلت الإسلام قبل أبيها ، وقد حفظ عندها المصحف الذى جمعه أبو بكر الصديق ، وكانت توصف بالصوامة القوامة لكثرة صومها وصلاتها وعبادتها .

* **وأما الخامسة فإنها أم المساكين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية** رضى الله عنها وسميت بأم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم ولم تمكث طويلاً فى بيت النبوة حيث توفيت بعد فترة قصيرة من زواجها بالنبى ﷺ قيل ثلاثة شهور وقيل ثمانية شهور .

* وأما السادسة فهى أم سلمة رضى الله عنها واسمها **هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم** ، من السابقات إلى الإسلام وهاجرت الهجرتين ، إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وقد أشارات على الرسول ﷺ فى صلح الحديبية لما أمر الناس بأن ينحروا ويحلقوا فلم يستجب أحد ، فأشارت عليه ﷺ بأن يخرج ولا يكلم أحداً حتى ينحر ويحلق ، فأخذ بمشورتها ، فتبعه المسلمون وندموا على عدم طاعته .

* وأما السابعة فهى تلك عقد نكاحها فى السماء ونزل به أمين الوحى جبريل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب : ٣٧] إنها **زينب بنت جحش** وكانت تفخر بذلك وتقول للرسول ﷺ « يا رسول الله ما أنا كإحدى نسائك ، ليست امرأة منهن إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها ، غيرى .. زوجنيك الله من السماء » .

* وأما الثامنة فإنها **جويرة بنت الحارث** سيدة بنى المصطلق ، أسرت فى غزوة بنى المصطلق ، وتزوجها الرسول ﷺ فما كان من المسلمين أن أقبلوا على من بأيديهم من أسرى قومها فأرسلوهم أحراراً وهم يقولون : أصهار رسول الله . ﷺ . فما من امرأة أعظم على قومها بركة منها ، أعتق بزواجها من رسول الله ﷺ أهل مائة بيت من بيوت بنى المصطلق .

* وأما التاسعة فإنها **صفية بنت حيى** ، عقيلة بنى النضير ، ينتهى نسبها إلى هارون أخى موسى عليهما السلام ، كانت إحدى سبايا بنى النضير ، فاصطفاها النبى ﷺ لنفسه ، فأى شرف نالته صفية إنها سليلة بيت نبوة ، وانتهى

بها المقام إلى بيت النبوة فصارت أما للمؤمنين ، وكانت تفخر فتقول : زوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى .

* وأما العاشرة فهي **أم حبيبة بنت أبي سفيان** . من السابقات إلى الإسلام وقد هاجرت إلى الحبشة وبقيت هناك إلى أن أرسل الرسول ﷺ إلى النجاشي أن أرسل من عندك من المهاجرين وقد عاد المسلمون ومعركة خيبر في ذروة احتدامها ، وما أن استقروا بالمدينة حتى جاءت البشرى بالانتصار على اليهود، وفتح خيبر، وكان الرسول ﷺ قد عقد عليها وهي بالحبشة وناب عنه النجاشي ، وناب عنها خالد بن سعيد بن العاص، ودخل الرسول بها بعد عودتها من الحبشة .

* وأما الحادية عشرة فإنها **ميمونة بنت الحارث** آخر أمهات المؤمنين ، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ أثناء عمرة القضاء التي تلت عهد الحديبية ، وقيل هي التي نزل فيها قول الله تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

[سورة الأحزاب : ٥٠]

تقول فيها عائشة رضى الله عنها : « .. أما إنها كانت والله من أتقانا وأوصلنا للرحم » .

رحم الله أمهات المؤمنين رحمة واسعة ، وسلام عليهن فى الأولى والآخرة ، وألحقنا بهن فى جنات النعيم .. آمين .

أخى المسلم .. أختى المسلمة ..

قد يسأل سائل ، وكيف نتأدب مع أمهاتنا .. أمهات المؤمنين ؟

وعليه أجيب :.

إن الإسلام العظيم الذى نؤمن به ، قد جعل للأم منزلة عظيمة ، ومكانة سامية ، وحسبها شرفاً وفخراً أن يوصى الرسول ﷺ أحد الصحابة وقد جاءه يسأل : من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟ قال « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » .

وحسب الأم شرفًا وفخراً أن تكون الجنة تحت قدميها .

وأمهات المؤمنين لسن بأقل من أمهات العصب والدم فى المكانة ، بل إنهن أكبر قدراً ، وأعلى منزلة ، وأسمى مكانة ، ومن ثم فإن احترامهن ينبغى أن يكون على نفس ذلك المستوى من الرقى والرفعة والسمو .

والآدب مع أمهات المؤمنين يكون كالأتى :.

١ ـ الترضى لهن والصلاة عليهن :ـ

فكما أننا حين نسمع اسم النبى ﷺ نقول : صلى الله عليه وسلم ، وعندما نسمع اسم أحد صحابته نقول : رضى الله عنه فينبغى علينا أن نقول عند ذكر أسماء أمهات المؤمنين : رضى الله عنهن ، ونقول أيضا كما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم قال :.. أنهم قالوا : يارسول الله : كيف نصلى عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريته . كما صليت على آل إبراهيم . وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته . كما باركت على آل إبراهيم . إنك حميد مجيد »

وعندما يفعل المسلم ذلك ، فإنه علامة على تمام دينه .. نعم ، حسن الأدب معهن من تمام الدين ، ألم يكرمهن الله ويفضلهن على غيرهن من النساء ؟! وألم يطلب منا الرسول ﷺ أن نصلى عليهن كما نصلى عليه ؟! وحسن الأدب معهن علامة على كمال الأدب ورقى الأخلاق .

إذن ينبغى على المسلم لكى يكون مسلما حقا أن يتأدب مع أمهات المؤمنين ، فيترضى لهن ويصلى عليهن كما بينا .

٢ ـــ الاقتداء بهن ودراسة سيرتهن :

* ومن حسن الأدب مع أمهات المؤمنين الاقتداء بهن فى كل شيء وصلنا عنهن فقد أدبهن الله وتأدبن بأدبه ، ومن ثم ينبغى على من يتولون تنشئة أطفال المسلمين ، والبنات منهم خاصة أن يدرسوا لهن سيرة أمهات المؤمنين واستخلاص الدروس والعبر من هذه السير – وما أكثرها – وجعلهن مثلًا أعلى لهن فى حياتهن ، بدلًا من تدريس سير نساء من الغرب والشرق والادعاء– زوراً وبهتاناً– بأنهن محررات للمرأة ، أو رائدات للمرأة فى مجال العمل أو غير ذلك مما يظنه البعض حقيق بأن ننشئ عليه الصغار ، وهو إفك افتراه قوم ليبعدوا المسلمين عن الإسلام فليتنبه أولوا الأمر لذلك ، ففى سير أمهات المؤمنين من الدروس والعظات والعبر ما يغنى عن تدريس غيرها من قصص مشوهة ممسوخة لنساء ، ربما كان الكثير منهن غير مسلمات ، وإن كن مسلمات ، فربما كن ممن تباهين بأنهن أول من خلعن الحجاب وذهبن إلى المصيف ليلقين ما بقى على أجسادهن من ملابس !! هل هؤلاء قدوة ؟! اللهم لا ومن اتخذهن قدوة فإنه فاسق فاجر مرق من الدين ؛ لأنه لا يريد الخير لأمة محمد ﷺ .

وهل مثل هؤلاء اللاتى يدعين إلى الفحش والخنا ، جديرات بأن تدرس سيرتهن ويذكرن فى كل مناسبة ؟

اللهم لا وإنما الجدير بالمسلم الحق أن يضرب عنهن صفحاً وأن يلقى سيرتهن فى صناديق القمامة ليذهبن إلى مزابل التاريخ فما أكثر ما شقينا نحن المسلمين من هؤلاء اللاتى نفضن أيديهن من الفضيلة ، وسرن فى طرقات الرذيلة غير عابئات بدين ، غير ملتفتات إلى الأخلاق الفاضلة .

وإليك أخى المسلم بعض المواقف المشرقة والمشرفة من حياة زوجات النبى ﷺ ، لنؤكد أنهن رضى الله عنهن أحق بالاقتداء والاتباع :

* فمثلًا لقد ضربت أمهات المؤمنين أروع الأمثلة فى طاعة الزوجة لزوجها مهما كلفتها الطاعة من مشاق ، بيد أن أمنا خديجة رضى الله عنها لتتقدم على زوجات الرسول ﷺ بخطوات فسيحة فى هذا المضمار ، خذ مثلاً على ذلك تصديقها له منذ أول لحظة يبعث فيها إلى الناس نذيراً وبشيراً ، ما ترددت لحظة فى تصديقه وإنها بموقفها هذا بعثت فى نفسه راحة وطمأنينة ، وثقة بأن ما رآه وسمعه فى الغار حق وصدق ، بل إنها لتقف بجانبه فى أصعب اللحظات عندما فرض كفار قريش

على بنى هاشم الحصار فلا يبيعون لهم ولا يشترون ، كان بوسعها وهى الغنية ، ذو المكانة فى قومها الحسيبة فى عشيرتها أن تظل خارج هذا الحصار ، ولكنها رضى الله عنها فضلت أن تقف بجانب زوجها فى محنته ، تؤازره ، وتشد على يديه ، مخففة عنه بعض ما يلقى من مشاق وسوء أدب من مشركى مكة وما حولها ، إنها بهذا وبغيره لتضرب المثل الأعلى فى طاعة زوجها والتفانى فى خدمته ، وإن سيرتها لجديرة بأن تدرس للصغار قبل الكبار ، اللهم بلغت اللهم فاشهد .

* خذ مثلًا أخر فى الحث على طلب العلم والتفقه فى الدين ، فهذه أمنا عائشة رضى الله عنها كانت تحفظ من أحاديث الرسول ﷺ ما يزيد على الألفى حديث ، وإنها لتفتى من يسألها من رجال ونساء فى أدق المسائل ما يصعب على غيرها القول فيها برأى ، وماذاك إلا لقربها من الرسول ، وفقهها لأمور الدين ، قال هشام ابن عروة عن أبيه : « ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة » (١) وهكذا ينبغى لنساء المسلمين قبل الرجال أن يحرصن على طلب العلم والتفقه فى الدين ، وأن يجعلن من سيرة أم المؤمنين عائشة

---

(١) انظر ترجمتها فى الإصابة .

سراجاً وهاجاً يضيء لهن غياهب ظلمات الجهل وليرفعن سيرتها فى وجه من يطالب بعدم تعليم المرأة المسلمة ، فإنها رضى الله عنها نعم الأم ، ونعم المثل ، ونعم القدوة .

* وفى مجال الاجتهاد فى العبادة والزهد وكلهن – رضى الله عنهن – مثل لذلك ، إلا أن حفصة بنت عمر – رضى الله عنها – تسبقهن فى ذلك ، فهذا جبريل عليه السلام ينزل من السماء فيقول للرسول ﷺ وقد طلق حفصة « أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك فى الجنة » .

* وفى مجال التصدق على الفقراء والإحسان إليهن ، لانستطيع أن ننكر على أحداهن – رضى الله عنهن – إنها لم تكن تتصدق وعلى الفقراء وتحسن إليهم ، إلا أننا نجد زينب بنت جحش رضى الله عنها – تتفوق على غيرها فى هذا المجال ، وقد شهد لها الرسول ﷺ بذلك فقال : « **أسرعكن لحاقاً بى أطولكن يداً** » فكانت أول من لحق به ، لقد كانت كريمة خيرة ، تصنع بيديها ما تحسن صنعه ، ثم تتصدق به على المساكين ، عيال الله الذى أكرمها وأعزها ، وآثرها بما لم يؤثر به زوجة سواها .

* وفى حسن المشورة للزوج نجد أم سلمة رضى الله عنها وقد تقدم شيء ، من ذلك عند التعريف بها .

* وفى حسن العشرة والصبر على خشونة العيش ، نجد أنهن - رضى الله عنهن - ضربن أحسن الأمثلة ، وأروعها فى طاعة الزوجة لزوجها ، بل واجتهادهن فى إرضائه ، والبعد بكل شيء يظُنَ - مجرد ظن - أنه قد يسيء إلى شخص الرسول ﷺ ، فهذه رملة - أم حبيبة - بنت أبى سفيان ، يأتى إليها أبوها - وهو مشرك - قبل فتح مكة ، ويدخل عليها بيتها ويهم بالجلوس على فراش رسول الله ، فتخطفه مسرعة قبل أن يصل إليه ، وتعلن له فى صراحة ، منقطعة النظير ، بأنه مشرك ، وبأنه بشركه هذا نجس ، ومن ثم لا ينبغى له أن يقترب من فراش رسول الله ﷺ الطاهر ، حتى لا ينجسه ، أو بالأحرى ، حتى لا يسيء إلى رسول الله ﷺ بجلوسه على فراشه ، وهو ما يزال بعد مشركاً ، لقد وقفت بحزم فى وجه أبيها ، عندما ظنت - مجرد ظن - أنه قد يسيء إلى زوجها إذا غاب عنها فى نفسها وماله ، والواجب على كل مسلمة أن تكون كما أمر الرسول ﷺ ، وأن تبالغ فى إرضائه ولا تسيء إليه كما فعلت رملة - أم حبيبة - أم المؤمنين - رضى الله عنها .

ومن حسن العشرة أيضاً الصبر على الخشونة ، إن كان الزوج معسراً ، وقد مربنا فى المقدمة ، كيف أن الله خيرهن بين البقاء فى بيت النبوة ، زوجات للرسول ﷺ ، متحملات خشونة الحياة ، صابرات على قلة حظهن من الدنيا ، وقد كان الرسول ﷺ ، رغم ما كان يأتيه من خراج وفىء ، وقد فرض الله له خمس الغنائم ، إلا أنه كان أزهد الناس فى الحياة ، فكان يتصدق بكل ذلك ، حتى إنه كما تذكر لنا كتب الحديث والسيرة ، أنه كان يمر الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار للطبخ .

نعود إلى ما سبق ، بأن الله خيرهن بين المقام مع رسول الله ﷺ على هذه الحال ، وبين تسريحهن ليعشن حياة رغيدة فى أماكن أخرى غير بيت النبوة ، فماذا كانت الإجابة ؟ لقد آثرن الله ورسوله ، وخشونة العيش ، على الحياة الدنيا الزائلة .

فلتتخذ كل زوجة مسلمة من سيرتهن قدوة فى حياتها مع زوجها ، إنهن نعم المثل ، ونعم القدوة .

٣ ــ الذب عنهن والوقوف فى وجه من يسىء إليهن :

كان سلفنا الصالح ، وما زال الصالحون فى عصرنا الحالى يضعون أمهات المؤمنين فى مكانة عالية ، ولا يسمحون بأن تقترب منهن لاغية .

بيد أنه فى زماننا هذا بلينا بأناس من بنى جلدتنا وينتمون إلى ملتنا ، يتفننون فى إيذائنا ويجرحون شعورنا ، فمنهم من يسب الدين ليل نهار ، ومنهم من يسىء إلى أمهات المؤمنين بقصد وبسوء نية أو بجهل وسذاجة ، ومن هذه الإساءات مثلًا ، نرى البعض من المسلمين (ويا للأسف) يطلقون على نعالهم وأحذيتهم أسماء أمهات المؤمنين فيقولون (خدوجة ، زنوبة) أى حقد دفين فى قلوب هؤلاء لأمهات المؤمنين ! ! وأى جهل عميق هذا الذى أعمى بصائرهم وختم على قلوبهم فلم نرمن يغضب لله ويمنع ذلك ؟ ولم نر من تأخذه الغيرة والحمية من أجل الدفاع عن أمهات المؤمنين ! ! وهن أطهر خلق الله وأشرف خلق الله ، وأفضل خلق الله !

ومن المسلمين أيضا من يتذرع بحرية الفكر وينقاد لكلام المستشرقين ، ويسير وراءهم فى كل طريق حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه وراءهم ويصدقون ترهاتهم المليئة بالحقد للإسلام ولرسوله ولأمهات المؤمنين ، وللمسلمين – مابال هؤلاء يسيرون وراء أعداء الإسلام ، كما يسير الأعمى وراء قائده ، ثم يقولون بعد ذلك : هذه حرية الفكر . ألا قاتل الله حرية كهذه ، فإنها تسىء إلى ديننا وتسىء إلى رسولنا ﷺ

وتسىء إلى أمهات المؤمنين – رضى الله عنهن – وتسىء إلينا فى نهاية المطاف .

إن المسلم الحق لا يسمح بمثل هذه الإساءات تنتشر وسط المسلمين بل يقف ضدها ويبين الطريق الصحيح الذى ينبغى للمسلمين أن يسلكوه ، من توقير لأمهات المؤمنين واحترامهن ، وحسن أدب معهن ، كما أنه يفند مزاعم هؤلاء المستشرقين وحماقات من يتبعونهم ، حتى لا يقع المسلمون ضحية فكر خبيث يتزين بلباس الأمانة العلمية والأمانة منهم براء ، والعلم منهم خلاء .

٤ ـــ من الأدب معهن التسمى بأسمائهن :

فى الفقرة السابقة تعرضنا للذين يسيئون الأدب مع أمهات المؤمنين ، ألا إن أبلغ رد على هؤلاء الغفلة هو أن نحرص نحن – معاشر المسلمين – على أن نطلق أسماءهن المباركة على أولادنا من البنات ، وأن نشير فى كل مناسبة أننا اخترنا هذه الأسماء لأنها أسماء زوجات النبى ﷺ ، أمهات المؤمنين ، وأن نذكر الأبناء بسبب تسميتهم هذه الأسماء حتى يكونوا على اتصال دائم بأمهات المؤمنين ينهلون من سيرتهن ، ويتخلقون بأخلاقهن وفى نفس الوقت ينبغى على المسلم أن يزدرى الأسماء

الأجنبية ، ويحتقرها ، لأن من يسمى أبناءه بأسماء الأجانب والأجنبيات - وأكثرهن عاهرات وراقصات .... إلخ إنما هو أحد فراخهم يدعو بدعوتهم ، ويتقلد بتقاليدهم ، وينكر عادات الإسلام وتقاليده ، ومن ثم يصبح عدواً للإسلام دون أن يشعر ، وإن تسمى بأسماء المسلمين ، وعاش فى بلاد المسلمين .

أخى المسلم :

هل أنت فى حاجة - بعدما سبق - إلى زيادة بيان إلى أن أوضح لك أن من حسن الأدب مع أمهات المؤمنين التسمى بأسمائهن لا أظنك فى حاجة إلى زيادة ، بل أراك مقتنعاً بما قيل ، وهنا أدعوك لأن تجعل من بناتك من تذكِّر كل واحدة منهن بأم من أمهات المؤمنين ، رضى الله عنهن ، ورضى عن كل من تسمى باسمهن تيمناً بهن ، وتذكيراً لهن .

أخي المسلم .. أختي المسلمة ..

أرسل إلينا بآرائك ومقترحاتك ، وباستفساراتك بل وبنقدك أيضًا لما يصدر عن دار الصحابة للتراث ، وثق تمام الثقة بأن رسائلك سوف تلقى كل عناية واهتمام وسوف ترى أثرها واضحاً فيما يصدر بعد من رسائل ،

هدانا الله وإياك لما يحب ويرضى .. آمين .

العنوان
دار الصحابة للتراث بطنطا
ش المديرية ص.ب/٤٧٧
قسم التحقيق بالدار

فهــرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٥١٥٨ / ١٩٩٢

الترقيم الدولى I. S. B. N. 977 - 5211 - 63 - 8

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN